متى يصحو القادة العرب ؟!

د. صلاح الدين النكدلي

شخصت أبصار العرب والمسلمين إلى « القمة العربية الطارئة » تنتظر قرارات مصيرية :

(١) تنتصر لشلالات الدماء التي سفكتها أيدي الصهاينة .. محتلي فلسطين .. في مواجهة انتفاضة الأقصى المبارك .

(٢) وتعيد النظر في آليات المواجهة الحضارية مع المشروع الغربي-الصهيوني ، الذي أقامته - وما تزال تحرسه حراب فراعنة العصر : الدول الأوروبية الاستعمارية وأمريكا التي ورثتها في العدوان .

(٣) وتعمل على ترتيب العلاقات العربية-العربية وصولاً إلى القضاء على عوامل التنازع والاحتراب التي سمحت بوجود عسكري أمريكي وأوروبي في أرضنا وسمائنا ومياهنا !! فضلاً عن سيطرة أمريكا وأعوانها على الفكر

والقرار العربي . وهذا الوجود مرحَّب به من أطراف لأنها تجد فيه حماية من الأشقاء !! ، ومسكوتٌ عنه من أطراف أخرى لأنها في حاجة إلى مسالمة الأمريكان بشكل خاص ، وإلى المساعدات المادية والسياسية التي تقدمها أمريكا لمن يتعاون معها ويؤمن لها مصالحها !! .

شخصت الأبصار إلى القمة العربية يحدوها الأمل في أن تكون قرارات الحكام العرب منطلقة من النتائج المريرة المخزية لنهج " الاستسلام الاستراتيجي " والذي ظنوه " سلاماً " يعيد لهم ما اغتصبه الصهاينة في نكبة ١٩٦٧م ، ويمثل ٢٢% من أرض فلسطين فقط ، مقابل الاعتراف ليهود بما أخذوه قبل النكبة الثانية ، وتطبيع العلاقات وصولاً إلى تغيير ثقافة أبناء المنطقة ، الذين ينبغي أن يرضوا بوجود دولة الصهاينة كجزء أصيل .. بل وقيادي .. في فلسطين !! .

وتطلعت القلوب إلى أن يستفيد الحكام العرب من تجربة تحرير جنوب لبنان ، ومن انتفاضة رجال ونساء وشباب وأطفال فلسطين ، وأن يعتمدوا « المواجهة الشعبية » من أجل تحرير فلسطين .. كامل فلسطين .. بدلاً من التعلل بالعجز

عن تكاليف الحرب النظامية .

ولكن اعتماد « الحرب الشعبية » يستدعي جملة من التغييرات النفسية والفكرية والعملية ، ويأتي في مقدمتها :

① إصلاح النظام العربي السياسي ، واتخاذ الخطوات الجادة للمصالحة مع الشعب العربي ، وإطلاق حريته لكي يساهم في صياغة صور المواجهة مع الصهاينة ومن يتبناهم ويدعمهم .

② إعادة الأمور إلى نصابها في العلاقة مع الكيان المغتصب لفلسطين وتبني شعار « تحرير كامل الأرض » ، والتخلي عن المصائب -العلاقات، والاتفاقات - التي جرها على أمتنا " مسار التصفية " والذي ظنها البعض " تسوية " .. وروَّج لها !! .

③ العمل على إخراج أمريكا وأعوانها من الأرض ، والفكر ، والثقافة ، ومواجهة القوى المعادية لأمتنا على كل صعيد ، وهذا يقتضي إجراءات سياسية ، واقتصادية ، تضامنية . ولكن لا بد منها إذا أرادت أمتنا قطع الأيدي التي تحمل السكاكين وتقطع بها شرايين المسلمين .

وجاء البيان الختامي للقمة العربية مخيباً للآمال ، فهو لم يخرج في جوهره عن إطار " الاستسلام الاستراتيجي " الذي تبناه النظام العربي ، وإن كانت كلمات الإدانة شديدة نوعاً ما ، ولم يقدم رؤية مستقبلية للصراع ، واكتفى بإجراءات هزيلة تمثلت في " وعود " بمساعدات مالية لدعم عروبة القدس ، وتضميد جراح الأهل في فلسطين !! وبهذا البيان كرَّس الحكام العرب القطيعة مع شعوبهم ، وأطلقوا لأمريكا والصهاينة العنان لكي يواصلوا عدوانهم وتزييف الحقائق ، وسيقوم النظام العربي بعد هذا البيان المخزي بحملات إعلامية محمومة تهدف إلى " تبرير " هذا الموقف وتصفه بالاعتدال والعقلانية والحكمة !! . وهذا ما عهدناه من النظام العربي بملوكه ورؤسائه وأمرائه وشيوخه !! .

ويسأل المنهزمون بتهكم : وماذا يمكن أن يصنع القادة العرب .. في ظروف التطورات العالمية .. أكثر مما صنعوه في القمة الطارئة ؟!

والجواب على طابور الهزيمة في أمتنا يمثله في هذه الأيام العصيبة أبناء فلسطين الأبطال .. فانتفاضتهم ودماؤهم

وتضحياتهم وتجاوب المسلمين على امتداد الأرض معهم تقول : لا تتنازلوا عن ذرة من فلسطين ، وأعيدوا النظر في طريقة تعاطيكم من القضية المحورية في حياة الأمة ، وليخرج الحكام من حالة « الضرورات التي وضعوا أنفسهم فيها ، والتي استباحوا من أجلها كل المحظورات » وليتركوا الشعوب تتحرك على طريق الحرية والكرامة ، وسترى الدنيا عندئذ عهداً جديداً من الجهاد ضد المستعمرين الجدد ، الذين لن يخرجوا من أرضنا ، وثرواتنا ، وثقافتنا ، وإرادتنا .. إلا بمواجهة حضارية شعبية .

إن في أمتنا إمكانات عقلية وفكرية وسياسية واقتصادية .. قادرة على إعادة صياغة الأوضاع الداخلية والعلاقات الخارجية بما يتلاءم مع أهداف تحرير الأرض والثروات والإنسان . وعلى الحكام أن يدركوا هذه الحقيقة قبل أن تعتبرهم الشعوب جزءاً أصيلاً من « النقيض الأساسي » الذي يهدد وجودهم بالبوار ، ويعمل على تحطيم محاولات الخروج من عبودية أمريكا والصهاينة .. عندئذ ستضطر الشعوب إلى خوض معركة مصيرية مع الحكام .. وسيجر ذلك

على البلاد والعباد الدمار الكبير .. وهذا ما تريده القوى المعادية لأمتنا .. لأنه يؤخر يوم التحرير الذي نوقن من أعماقنا أنه آت لا ريب فيه.

بقي أن نقول للمسلمين في كل مكان : عليكم أن تحافظوا على تبنيكم لهدف تحرير فلسطين ، لأن الوجود الصهيوني في أرضنا المباركة يمثل مشروع القوى الاستعمارية الراغبة في إذلال أمتنا ومنعها من النهوض والمشاركة في تحرير الإنسان من جشع ونهبية وقسوة ودموية النظام العالمي ، الذي يحاول الأشرار فرضه على البشرية ، ويطورونه يوماً بعد يوم ، ولكن حقيقته ما تزال تفرز الظلم والاستغلال والنهب وتشويه الإنسان على امتداد الأرض .

واعملوا .. واعملوا .. واعملوا .. على ترسيخ هذه الحقيقة في القلوب وفي الواقع .. وسارعوا إلى ممارسة المواجهة - ثقافياً ، وفكرياً ، واقتصادياً .. ولا تستخفوا بما تستطيعون من الإجراءات - ولو على المستوى الفردي - ، فالقليل مع القليل كثير ، وممارسة المقاومة تثمر المناعة التي تحمي من جراثيم تزوير الإنسان والحقائق ..

{ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }

[التوبة : ١٠٥]